ثورة التصحيح .. هى ثورة الحرية

ان انظمة الحكم لاتؤتى الثمار المرجوة منها ، الا اذا كانت مستمدة من نفسيه الشعوب ومن خصائص خلقها ومزاجها ، او من شعور افرادها بانهم يرزحون تحت وطأة التخلف والاستبداد والظلم ، وانهم فى حاجة عميقه الى نظام جديد ، ينتشلهم من الوهدة التى يتردون فيها ، ويقر فى حياتهم مايطمحون اليه من تطور وعدل ، ويكون فى الوقت نفسه منفقا مع طبيعتهم وخصائص خلقهم ومزاجهم ، والا فهذا النظام الجديد لابد ان يضطرب ويتعثر ويشكو النقص والحاجه الى ثوره تعديل وتصحيح .

فاذا كان الشعب مثلا قد تطلع فى ماضيه الى النظم النيابية التى تشركه فى الحكم اشتراكا فعالا ، وأحس ان تلك النظم هى التى تؤكد حريته وهى التى تتفق مع خصائص خلقه ومزاجه ، وطالب بها ومارسها وأصبحت جزءا اصيلا من منزعه السياسى والحضارى ، فهذا الشعب مهما تعذب بفقدان تلك النظم الحرة ، ومهما رزح تحت وطأة التخلف والظلم ، فهو لا يمكن ان يطمئن ويستريح فى ظل نظام ثورى جديد اذا فرض عليه هذا النظام فرضا جبريا ، وعدلا تعسفيا ناقض طبيعته ، وبعد من استقلاله وحريته ، وباعد بين افراده وبين المشاركة الفعالة فى شئون الحكم .

جهاد الحرية

ونحن فى مصر قد جاهدنا جهاد المستميت فى سبيل الحرية ، وظفرنا بها اعواما ، وأفلتنا على النظم النيابية ومارسناها وكنا اذا حرمناها طالبنا بها فى حماسة وصدق وايمان ، لانها لا تنبع فقط من خلقنا ومزاجنا بل ايضا من ديننا الذى اساسه الشورى .

ولقد كنا قبيل ثورة يوليو الاشتراكية فى حالة محزنة من التخلف والتبليد ومغالبة المستعمر ، وعدم الاستقرار فى ممارسة النظام النيابى ، نطمح الى انقلاب شامل ينهض بنا وينقذنا . فلما فاجأتنا الثورة الاشتراكية وتخلصنا بوساطتها من نير الاستعمار ، هتفنا لها ، وللذا بها ، وعقدنا عليها الآمال الكبيرة فى ان تقرن الاشتراكية بالحرية التى تتفق وطبيعتنا ومزاجنا ، والعدل الاجتماعى بنظام نيابى ديموقراطى صحيح يشرف على الحكومة ويحاسبها ، ويشعر المواطن المصرى بقيمة فكره ، وقيمة كرامته وانسانيته . وبحثه على النشاط الفردى المبدع ، ولا يكبله ويكبته ويخنقه . ولكن ما فرضته هذه الثورة من قيود على الحرية مستفزة ومثيرة ، وما اخذت به من حروب مرحلة ، وقوانين متعددة ومتقلبة ، واطماع ايديولوجية قيصرية ، ونزعات خيالية « دون كيشوتية » ، وتشتيت الجهود المصرية والعربية بدل جمعها ، وانغلاق اقتصادى خانق افقر وهدد البلاد التى لم تكن فيها صناعة عصرية متقدمة ولو قليلا يمكن ان تستغنى بها عن التبادل الحر مع العالم الخارجى ، كل هذا الذى اخذت به الثورة انحرف بها عن طريقها .

ولما كان العنف رائدها ، فقد تحكمت فيها مراكز القوى ، وبسطت على الشعب سلطانها . فانعدمت الحرية ، وفشت المحسوبية ، وتفاقم الحكم البوليسى ، وانتشرت الاحقاد والضغائن والدسائس ، وبات الناس يخافون من خيالهم ، وينكمشون فى بيوتهم ، ويحذرون من اقرب المقربين اليهم . فخلق منهم نوعين من العبيد : العبد الذى يرتضى القيد ويصمت حرصا على سلامته ، والعبد الذى يحاول المستبدين ويحمل القيد يطوق به رقاب الاحرار .

بقلم :

ابراهيم المصرى .

اما المثقف المحروم من حرية فكره التى هى شرط ثقافته وحافز انتاجه ، فكان يحس ان لا قيمة لمواهبه ، ولا جدوى من وجوده . فينطلق شيئا فشيئا من ذاته ، ويعيش فى قراع اسود حالك ، ولا يستطيع الا ان يدمر نفسه ويحرقها حرقا فى اتون من الاسى المضطرم المتواكل الخامد العقيم وهكذا كان الارهاب مصلتا على الرؤوس ، يفزع من الحريات ، وينحط بالناس ، وينحدر بهم الى مستوى القطيع ، ويمحو فى نظرهم - لفرط ما هم عليه من مذلة وهوان - كل عمل صالح وكل حسنة من حسنات النظام الثورى الجديد .

العنف والارهاب

فالعنف الجائر حنق العمل الصالح ، والارهاب الغاشم اخمد الحسنات ، وانعدام الحرية اقصى الشعب جانبا وافقده الشعور بالمسئولية . فانصمت الرابطه بين الشعب والحكومة ولم يعد هناك اى حسيب عليها من الامة او رقيب . فكان التشوش فى الادارة ، وكان التخبط فى القيادة وكانت الحرب التى انتهت بكارثة .

وظلت الامور تتأرجح فترة بين صعود وهبوط ، بين مكائد ودسائس تدفع اليها شهوة الحكم وبلهيها الطمع فى السلطة ، حتى استضاء الجو فجأة ، وتبددت غيومه ، والتمع فيه نور ساطع وهاج .

أنور السادات

ظهر الرجل العظيم . الرجل المنقذ . ابن مصر البار . محمد أنور السادات الرجل ذو الشخصيه القوية الفذة . الرجل الصبور الذى لا يستسلم ، الجرىء الذى لا ينهور ، الحازم الذى لا يتجبر ، المتأمل الصموت الذى ينعم النظر فى ما يدور حوله ولا يصمت الا ليفكر ويتحفز ويثب ويعمل .

هاله ما ابصر من تخبط وتصدع ووشك انهيار وضياع . فادرك بذهنه الثاقب وبصيرته المشرقه ، ان الارض لا يمكن ان تزرع سنوات طويلة بالبذرة نفسها والا استنزفت عصارتها واصابها الجفاف . فلم يتردد واقدم لا على استبعاد بقرة الثورة بل على تحسينها وتجديدها وتطعيمها . فاستجمع قوى حبه لوطنه ، وغيرته عليه ، وايمانه به ، واعلن فى الملأ ثورة التصحيح .

لم يفكر ابدا فى ان تكون ثورة التصحيح ثورة على الثورة . لم يتنكر ابدا لجوهر الاشتراكية . لم يمس القطاع العام . لم يقلب طبقة على طبقة .

اراد ان يصلح الفاسد ، ان يستكمل النقص ، ان يدعم دولة المؤسسات ، ان يقضى على الجور والظلم ، ان يوائم بين المذهب الاشتراكى والواقع المصرى ، بين العدالة الاجتماعية وبين ما هو متأصل فى ماضى شعب مصر وفى خلقه ومزاجه وطبيعته من ولع غريزى بالحرية ، وتشبث عنيف بالكرامة ، وثقة عميقة فى النشاط الفردى ، ونفور شديد من فناء الفرد فى الدولة .

هذا ما اعتمل فى فكر ونفس الرجل العظيم . فلم يتردد . نفث فى الشعب من ايمانه . رد الشعب الى طبيعته وروحه . أجاب الى النزعة الديمقراطية المتأصلة فيه . بشره بالحرية . أطلقه من عقاله . انشأ له المجلس النيابى الشعبى يقف بالمرصاد لكل مسئول يهمل أو يسىء التصرف . انقذ الصحافة من عهد الكمامات واطلق لها الحرية هى ايضا تعاون وتساند مجلس الشعب فى النقد والمحاسبة والتوجيه . حرص على المكاسب التى احرزتها الطبقة الكادحة وهدد عليها ايضا جهد المستطاع . فتح السجون واطلق المعتقلين ، ولم يعد يخشى انسان فى عهده أن يؤخذ غيلة ويساق فى صميم الليل من الدار الى النار ، الى سجن يطرح فيه ظلما وتشفيا وانتقاما ، ويسام فى جنباته الملك شر ضروب الاذلال والتعذيب .

القانون فوق الجميع

ساوى بين الجميع . وضع القانون فوق الجميع . غرس فى النفوس ان على الفرد ان يحترم حق الغير ، وأن على الدولة ان تحمى حق الجميع .

هذا وهو لا يغفل الجيش لحظة . يسهر على متاعه . يحكم نظامه . يرفع معنوياته . يذكى الجذوة الوطنية الكامنة فيه ، تلك الجذوة التى اضطرمت فداء وتضحية فى حرب اكتوبر ، وحققت لمصر نصرا لم تفز بمثله منذ سنين ، نصرا محا عنها عار الهزيمة ، وعزز احساسها بالكرامة ، واكسبها اعجاب وتقدير العالم .

وفى الوقت نفسه كان الرجل العظيم يجمع شمل العرب ، ويكسب صداقة الدول والشعوب ، ويتجه سبوب البناء والتعمير ، ويشرع فى انفتاح اقتصادى يجلب للشعب الرخاء . ثم ينبه الى خطر الصفقات التى يعقدها العملاء والسماسرة والتى تملأ جيوبهم على حساب المستهلك . مما يترتب عليها من زيادة فى اسعار السلع ويطالب وزير التجارة بايجاد حل سريع لها . ثم يحنو قلبه الكبير بمشاعر البر ، فيسعى لضمان معاش لكل أرملة وكل مطلقة وكل عاجز او مسن او محتاج . ثم يتحول الى العمل السياسى ، ويخطو الخطوة الرائعة ، فيفتح القناة لخير بلده والعالم ، وهو ينشد السلام القائم على العدل دون أن يكف عن السهر على الجيش وتقويته وتدعيمه وتزويده بالسلاح من شتى المصادر .

هذا هو الرجل العبقرى الذى ارسلته العناية لخلاص امته . وهذه بعض منجزاته فى ثورة التصحيح . ثورة الحرية . فهو الزعيم المفدى والقائد الهادى ، وشعبنا باسره يلتف حوله ، وينضوى تحت لوائه ، ويشد ازره ليحقق لمصر آمالها فى مستقبل عزيز وكريم ، خليق باضيها المجيد ، وحضارتها العريقة الخالدة .